13 me Année No. 620

Lundi - 21 - 5 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٢٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٤ — ٢١ مايو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

وزراؤنا والأدب

من القضايا التى صدقت فى الماضى والحاضر ، وفى الشرق والغرب ، أن الأدب والفن لا يزدهران وينتشران إلا فى ظلال ملك أو وزير أو أمير .

وصدق هذه القضية جاءها من أن الأدب العالى والفن الرفيع لم يكونا من مطالب العامة فى أى عهد ؛ إنما يطلبهما عشاق المجد والحمد ممن بلغوا الغاية القصوى من بسطة الحياة وسطوة الملك فتشوفت نفوسهم وامتدت عيونهم إلى أبعد من ذلك . يطلبهما الملوك وأشباههم من أولى الصدارة والإمارة لأنهما العطر الباقى فى يد ابن آدم من الجنة ؛ فمن لم يطلبهما لمتعة النفس وسعادة الروح ، طلبهما لزينة الملك وجمال الأحدوثة . فالأدب والفن بمعناهما الأعلى أرستقراطيان لا يرفعهما إلا الرفيع ، ولا يقدرهما إلا القادر . فإذا نزلا إلى الشعب ابتذلا فلا ينفعانه ولا يرفعانه . إنما الأدب والفن معنيان من معانى السماء يحملك النزوع إليهما على أن تطمح ببصرك إلى الفوق ؛ ويدفعك الطمع فيهما إلى أن تطوح بنفسك إلى الأمام . ومن هنا كان الرجل إذا سمت ملكاته بالعلم أو بالملك ، ورقت مشاعره بالتربية أو بالمدنية ، وجد نفسه فى أفق الفن محوطاً برجاله ، معموراً بجماله . فإذا كان صاحب السلطان من ذوى القرائح الفنانة كان جدواه على الأدب من جهتين : جهة الإقتداء به فى الإقبال عليه ، وجهة المكافأة منه على الإحسان فيه . والناس منذ كانوا على دين الملوك وهوى القادة . قال أسامة بن منقذ : « كان السفاح راغباً فى الخطب والرسائل يصطنع أهلها ويثيبهم عليها ، فحفظتُ ألف رسالة وألف خطبة طلباً للحظوة عنده فنلتها . وكان المنصور بعده معنياً بالأسمار والأخبار وأيام العرب يدنى أهلها ويجزيهم عليها ، فلم يبق شىء من الأسمار والأخبار إلا حفظته طلباً للقربة منه فظفرت بها . وكان موسى مغرماً بالشعر يستخلص أهله ، فما تركت بيتاً نادراً ، ولا شعراً فاخراً ، ولا نسيباً سائراً ، إلا حفظته ؛ وأعانى على ذلك طلب الهمة فى علو الحال . ولم أر شيئاً أدعى إلى تعلم الآداب من رغبة الملوك فى أهلها وصلاتهم عليها . ثم زهد هرون فى هذه الأربعة فأنسيتها حتى كأنى لم أحفظ منها شيئاً » . وكل أديب أو فنان أو عالم هو فى ذلك أسامة بن منقذ . وما النهضات الأدبية والعلمية فى الأمم إلا وثبات للمجد الروحى فى نفوس بعض الملوك . وفى تاريخنا الأدبى نستطيع أن نؤرخ النهضات فيه بتاريخ معاوية وعبد الملك فى دمشق ، والرشيد وابنه المأمون فى بغداد ، وعبد الرحمن الناصر وابنه الحكم فى قرطبة ، والعزيز بالله وابنه الحاكم فى القاهرة . وإن فى قصور بنى بويه فى الرساقة ، وبنى حمدان فى حلب ، وبنى عباد فى إشبيلية ، لمنازل للوحى تنبأ بالقريض فيها من تنبأ ، وبُعث برسالة العلم منها من أُرسل . وإنك لتذكر الوزراء الأدباء من أمثال ابن العميد ، والصاحب بن عباد ،

ويعقوب بن كلس، ولسان الدين بن الخطيب، والقاضي الفاضل، فتذكر مجالي بالأدب ناضرة، ومغانيَ بالعلم عامرة، ومجالس كانوا فيها شموساً تدور من حولها توابعها تستمد الحرارة وتمد، وتقتبس النور وتقبس.

وكان للمجالس الأدبية والعلمية في عصرنا الذهبي نفحات من الإلهام أيقظت رواقد العبقرية في ألوف من الأذهان الخصبة والقرائح الموهوبة فازداد بهم الأدب والعلم ازدهاراً وابتكاراً وكثرة.

كان للرشيد مجلس للأدب بلغ لألاؤه أطراف الإمبراطورية الإسلامية فعشا على ضوئه صاغة القريض ورواته حتى ضاقت عليهم بغداد بما رحُبت، فاضطر يحيى بن خالد إلى امتحانهم في الشعر وترتيبهم في الجوائز، ليخفف من زحمة الأدباء عن عاصمة الدنيا في ذلك الحين، وقد عهد بذلك الامتحان إلى شاعره أبان اللاحقي فقام به

وكان للمأمون مجلس للعلم يعقده في دار الخلافة أيام الثلاثاوات من كل شهر؛ فإذا أقبل الحكماء والفقهاء مدت الموائد وقيل لهم: «أصيبوا من الطعام والشراب ثم جددوا الوضوء. ومن كان خُفه ضيقاً فليترعه، ومن كانت قلنسوته ثقيلة فليضعها. فإذا فرغوا أتوا بالمجامر فتبخروا، ثم خرجوا فدخلوا على المأمون فيدنيهم منه خير إدناء، ويناظرهم أحسن مناظرة، حتى تزول الشمس فتنصب الموائد ثانية فيطعمون وينصرفون.

وكان للصاحب بن عباد مجلس للشعر لا يغشاه إلا من حفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب، ومع ذلك الشرط القاسي كان يجتمع على بساطه كل يوم ألف من رجالات الأدب والعلم والكلام. وبنى داراً فاجتمع له من قصائد التهنئة عليها ديوان شعر ضخم. ونفق رُدُون لأديب من أدباء مجلسه فرثاه شعراء الحضرة بخمسين قصيدة. وقد ذكرتُ بذلك (مكسويني) حصان الدكتور محجوب ثابت، فإنه حين نفق من الهزال لم يظفر من شعراء مصر على كثرة ما ركبوه بالمزاح والهزل إلا بقصيدة واحدة لشوقي.

وكان للمعتضد عباد دار خاصة للشعراء ينزلونها على الرحب والسعة؛ فإذا جاء يوم الشعر وهو يوم الإثنين من كل أسبوع دخلوا عليه فلا يقابل غيرهم ولا يسمع إلا شعرهم. ولقد بلغ من عنايته بهم ورعايته لأدبهم أن جعل لهم رئيساً يرجعون إليه، ونظاماً يرتّبون عليه، وسجلاً يُحصون فيه.

ولو ذهبت أستقصي مجالس الأدب والعلم في عواصم العراق والشام ومصر والأندلس لاسترخى في يدي عنان القلم، وتشتت في ذهني سياق الموضوع.

***

تواردت على خاطري هذه المآثر العربية التاريخية وأنا أنعم لأول مرة بالحديث إلى صاحب المعالي إبراهيم دسوقي أباظه باشا وزير المواصلات؛ وكنت قبل هذا اللقاء الأول قد عرفته بالسماع، والسماع يسري خُلقه وسموأدبه مستفيض، فلم يجر ذكره على لسان أديب إلا روى عن مجالسه، ونوه بمواهبه، وحدّث عن أياديه. وكنت أعلم أنه استن لنفسه سنة وزراء بني بويه، فاتخذ له بطانة من صفوة الشعراء الشباب يأنس إليهم في داره، ويُشبل عليهم بجاهه، ويستعين بهم في عمله، ويجزل لهم من فضله. وهم يعلمون أن الأدب وحده هو الذي أحظاهم عنده، فلا يفتأون يتنافسون في تحصيله ويتفاضلون في تجويده. فلولا أن لهذا الوزير الشاعر طبعاً أصيلاً في الأدب استفاده من مناشيء فطرته وتقاليد أسرته، لما انبثق في حياته العاملة ذلك النور السماوي الذي استحال أدباً في نفسه يتخلقه ويعمل به، وأدباً على لسانه يقوله ويفتنّ فيه، وأدباً على سمعه يعيه ويشجع عليه

وللقطب ابراهيم الدسوقي باشا نظراء في الوزراء لم يجُد الدهر بأمثالهم على دولة من دول العرب في وقت واحد منذ دالت الهاشمية في العراق، والأموية في الأندلس؛ نذكر منهم الباشوات أصحاب المعالي: لطفي السيد، ومحمد حسين هيكل، ومصطفى عبد الرازق، ونجيب الهلالي، ومكرم عبيد، وطه السباعي، وحفني محمود. ولكل وزير من هؤلاء الوزراء الأدباء طُفاوة من ناشئة الأدب ومنشئيه، تتسع أو تضيق على حسب ما يبذل لها من نفسه، ويفيض عليها من نشاطه. وهم عسيّون إذا هم استجابوا لملكة الأدب فيهم، وواجب العربية والعروبة عليهم، أن ينفخوا من رُوحهم ورَوْحهم في جذوة هذه النهضة الأدبية حتى تستعر وتنتشر فتصهر بقوتها الجامد، وتنعش بحرارتها الخامد، وتنير بأشعتها الطريق.

أحمد حسن الزيات